رؤية فلسفية أخلاقية لأبحاث استنساخ الأجنة البشرية

An ethical philosophical vision of human embryo cloning research

د/ موسى قروني*، د/ كمال ذويبي[2]،

[1] جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)، m .grouni@univ-dbkm.dz

[2] جامعة محمد بن أحمد وهران 2 (الجزائر) douibi.kamel@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/04./17 تاريخ القبول: 2024/02./.08 تاريخ النشر: 2024/06/10

ملخص:

عرفت البيولوجيا منذ اكتشاف الشفرة الوراثية تطورا مذهلا ومتسارعا، حيث توالت الاكتشافات، وتعددت البحوث وتنوعت، كالتلقيح الصناعي، والإجهاض، وتحسين النسل، والعلاج الجيني، والاستنساخ، لا سيما استنساخ الأجنة البشرية، الذي كان بمثابة قنبلة هزت كيان البشرية، مثيرة ضجة كبيرة على كافة المستويات، فاحتمال استنساخ البشر بث الهلع والخوف والقلق في نفوس البشر، خوفا على مصيرهم، وخوفا على مكانتهم المقدسة في الوجود، فتعالت الأصوات وبدأت الأبحاث الأخلاقية حول هذه الأبحاث.

توصل فلاسفة وعلماء الأخلاقية إلى العديد من المسائل الأخلاقية التي يثيرها استنساخ الأجنة البشرية، على غرار تهديد الطبيعة البشرية، وانتهاك الكرامة الإنسانية، وتدمير الأسرة وغيرها، هذا ما سنحاول إبرازه في هذا المقال.

كلمات مفتاحية: استنساخ الأجنة، الطبيعة البشرية، الكرامة الإنسانية، الأسرة، التنوع البيولوجي.

Abstract:

Biology has known since the discovery of the genetic code, an amazing and accelerated development, where the discoveries continued, and the research has been diversified and diversified, such as industrial pollination, abortion, birth control, genetic therapy, and cloning, especially the cloning of human embryos, which served as a bomb that shook the human entity, causing a sensation of all The levels, the possibility of cloning humans spreading panic, fear and anxiety in the hearts of humans, for fear of their fate, and for fear of

المؤلف المرسل: د/ موسى قروني*

their holy position in existence, the voices came and moral research began about this research.

The philosophers and moral scholars have reached many moral issues raised by the cloning of human embryos, similar to The threat of human nature, the violation of human dignity, the destruction of the family and others, this is what we will try to highlight in this intervention.

Keywords: Human embryo cloning; human nature; human dignity; Family; Biodiversity.

مقدمة:

تسبب التطور العلمي والتقني الذي شهده العالم في ظهور من الثورات العلمية، وأبرز هذه الثورات الثورة البيولوجية، التي شغلت العالم أجمع بتقنياتها وأبحاثها التي لا تتوقف أبدا، ففي كل يوم نصحو على اكتشافات بيولوجية جديدة، وشغلت العالم كذلك بالمخاوف والمسائل الأخلاقية التي تثيرها أبحاثها وتقنياتها، وخاصة تلك المخاوف والمسائل المتعلقة بأبحاث استنساخ الأجنة البشرية، التي أدخلت العالم أجمع في موجة من الشك وعدم الاستقرار، لأن قيم ومقدسات الإنسان قد تزعزع استقرارها وأصبحت عرضة للتغيير والتحوير، بل أصبحت هويته وطبيعته البشرية المتفردة عرضة للتحوير والتلاعب، هذا ما سنحاول إظهاره في هذا المقال، من خلال الإجابة عن التساؤل التالي: ما هي المخاوف والمسائل التي تهدد الهوية الإنسانية والطبيعة البشرية في أبحاث استنساخ الأجنة البشرية؟.

1/ مفهوم استنساخ الأجنة البشرية:

يعد استنساخ الأجنة البشرية من الأبحاث والتقنيات المستجدة في ميدان البيولوجيا، فكان ظهوره بمثابة قنبلة بيولوجية، يمكن تعريفه على أنه: "يقصد باستنساخ الأجنّة البشريّة أن جنينا بشريا هو نسخة جينيّة لإنسان آخر حي كان أو ميت، ولكنّها لا تشمل جنينا بشريا تمّ إنشاؤه عن طريق إخصاب بويضة بشريّة بواسطة حيوان منويّ، و لإثبات أنّ الجنين البشريّ المستنسخ هو نسخة جينيّة من كائن حي أو ميّت، يكفي إثبات أنّ

مجموعة الجينات في نوى خلايا الإنسان الحي أو الميّت قد تمّ نسخها، وليس من الضّروريّ إثبات أنّ النّسخة نسخة جينيّة متطابقة، أو هو جنين بشريّ ناتج عن عمليّة تكنولوجيّة معروفة، لأن تقسيم الجنين لا يتمّ إنشاؤه بواسطة إخصاب البويضة البشريّة بالحيوانات المنويّة البشريّة" (Australian Capital Territory، 2019/11/14، 04p). بمعنى أن استنساخ الأجنة البشرية هو عبارة عن إنتاج نسخة لجنين ما، سواء كان هذا الجنين على قيد الحياة، أو كان قد فارقها، وتكون هذه النسخة الجديدة مطابقة وراثيا للجنين الأصلي، وهو مشروع جنين لو تم توفير الظروف المناسبة لنموها وتطورها حتى تصبح جنينا كامل النمو، وتتم هذه العملية بطريقة تكنولوجية صناعية، لأنها لا تتم بالطريقة الطبيعية المعتادة في تكون الأجنة ونموها حتى لحظة الميلاد، حينما يلتقي الحيوان المنوي الذكري والبويضة الأنثوية فيندمجان معا ليشكلا كتلة خلوية تنمو وتتطور لتصبح جنينا كامل النمو حتى ولادته، ولإثبات أن النسخة الجديدة مطابقة وراثيا للجنين الأصلي ما علينا إلا إثبات أن خلاياه قد تم استنساخها في النسخة، وعليه يكون استنساخ الأجنة البشرية عملية تقنية صناعية تدخلت فيها الآلات والعقاقير الكيمائية، وبالتالي فهي ليست عملية طبيعية.

كما يمكننا تعريف اسنساخ الأجنة البشرية على أنه: " جنين بشري ناتج عن عمليّة نقل النّواة (على عكس الجنين البشريّ النّاتج عن اتحاد البويضة والحيوانات المنويّة)، المنتج الفوري والمتطوّر للفعل الأوّلي للاستنساخ، الّذي تمّ إنجازه بنجاح بواسطة تقنيّة النّقل النّووي للخلايا، سواء تمّ استخدامه لاحقا في محاولات لإنجاب طفل أو في البحوث الطبيّة الحيويّة"(The President's Council on bioethics, 2002, P XXIV, XXV) إذا استنساخ الأجنة البشرية – حسب هذا التعريف - هو عبارة عن إنتاج جنين بواسطة تقنية النقل النووي للخلايا المستخدمة في استنساخ النعجة دوللي من طرف العالم الاستكنلدي إيان ويلموت وفريقه البحثي، وعليه يكون استنساخ الأجنة البشرية عملية تكنولوجية صناعية بحتة يتم فيها إنتاج جنين مطابق وراثيا لصاحب الخلية الأصلي، سواء تم المحافظة على هذا الجنين حتى إكمال مراحل النمو التي يمر بها أي جنين حتى الولادة، وهنا الهدف من استنساخ الأجنة البشرية هو التوالد والتكاثر، أو تم توقيف حياة الجنين في مرحلة قصد استخدامه في البحوث والتجارب الطبية التي تنتهي بإنتاج أدوية من خلاياه

الجذعية، أو إنتاج أعضاء وخلايا من خلاياه، ويكون الهدف هنا من استنساخ الأجنة البشرية هنا هو العلاج، وعليه يمكننا القول أن استنساخ الأجنة البشرية نوعان: نوع غرضه التوالد والتكاثر، ونوع آخر غرضه العلاج والتداوي.

بالإضافة إلى هذين التعريفين يمكننا أن نضيف تعريفا ثالثا، حيث يمكننا تعريف استنساخ الأجنة البشرية على أنه: " تبعا لما سبق فإنّ الاستنساخ التّناسليّ للكائن البشريّ، سيكون إذن: إنتاج جنين بنقل نواة بدءا من خليّة جسديّة أو جينيّة، نموه حتى يبلغ نهاية النّمو وميلاد طفل، إذا كانت الخليّة المستنسخة خليّة جسديّة مأخوذة من بالغ أو طفل ستكون النّتيجة طفلا ذا جينوم كروموسوميّ مطابقا لجينوم البالغ أو الطّفل الأصليّ، أمّا إذا كانت الخليّة المستنسخة لجنين، ستكون النّتيجة شبه توأميّة، مع ترحيل بسيط في الوقت وهي فضلا عن ذلك غير محدّدة بنسختين، في كلّ الأحوال إذا ما طبقت هذه النّتيجة سيتمّ إنتاج طفل أو أطفال بالتّناسل اللّاجنسيّ، كنسخ متطابقة كروموسوميّا فيما بينها ومتطابقة للكائن الأصلي" (هنري، وآخرون، 2016،ص 22). حسب هذا التعريف، يكون استنساخ الأجنة البشرية عبارة عن نقل خلية جسدية كانت، أو جنينية استخدام تقنيات النقل، وإنتاج جنين من هاته الخلية يكون مطابقا وراثيا للشخص الأصلي صاحب الخلية، مع ضرورة توفر الشروط الضرورية لنمو الجنين المستنسخ حتى اكتماله وولادته، وعليه إذا كانت الخلية المستخدمة في الاستنساخ خلية جسدية لطفل أو لشخص بالغ فستكون نتيجة الاستنساخ طفلا يحمل نفس الصفات الوراثية وذا تركيب جيني مطابق لصاحب الخلية الأصلي، أما إذا كانت الخلية المستعملة في الاستنساخ خلية جنينية ستكون نتيجة الاستنساخ جنينا مطابقا وراثيا للجنين الذي أخذت منه الخلية، مما يجعل من عملية الاستنساخ هذه مشابهة لعملية التوأمة مع فرق بسيط وهو فرق التوقيت الذي تتم فيه العملية، وكذا أن عملية الاستنساخ غير محددة كميا، فهي ليست محددة بنسختين كما يتم في عملية التوأمة، وعلى العموم يمكننا القول أن استنساخ الأجنة البشرية هو إنتاج أجنة وأطفال مطابقة وراثيا لصاحب الخلية الأصلي.

من الملاحظ أن جميع هذه التعريفات تتفق على أن عملية استنساخ الأجنة البشرية عملية تقنية صناعية، لا تتم بطريقة العادية، مهما كانت الغاية من استنساخ الأجنة سواء كانت تكاثرية أو علاجية.

2/ تقنيات استنساخ الأجنة البشرية:

2. 1/ تقنية الانشطار: وهي نوع التوأمة، فهي توأمة صناعية يتم فيها تقسيم الجنين عندما يكون عبارة عن كتلة خلوية، بحيث يكون كل قسم عبارة عن جنين مستقل يواصل نموه حتى اكتماله وولادته، وعليه: "في هذه التّقنيّة يتمّ استخدام بويضة من الأمّ وحيوان منويّ من الأب لتكوين جنين مخصب، بعد أن ينمو الجنين إلى مرحلة ثمانيّ خلايا، يقسم الباحثون الجنين إلى أربع أجنّة متطابقة، يحتوي كلّ واحد على خليتين، يتمّ زرع الأجنّة الأربعة في أربع أمّهات بديلات مختلفة، كما ينصّ الاسم، هذا شكل من أشكال التّوأمة، والفرق الوحيد هو أنّ التوأمة لا تتحقق بشكل طبيعيّ بل بشكل مصطنع من التّلاعب الخارجيّ. يصبح الجنين الوحيد أربعة أجنّة جميعها متطابق وراثيا" (Lim، 2006، p ,188 189). تعتمد هذه التقنية على دمج بويضة أنثوية مع حيوان منوي ذكري بغية تكوين خلية مخصبة تكون مشروع لولادة جنين في المستقبل، ولكن بعد مدة من النمو، وبالضبط عند وصول الجنين المخصب إلى مرحلة ثماني خلايا بعد المرور بعملية انقسام خلوي مستمر، يتم تقسيم هذه الخلايا الثمانية إلى أربعة أقسام، كل قسم يحتوي على خليتين مشكلة جنينا بخليتين، يتم نقل هذه الأجنة الأربعة الجديدة إلى أرحام أمهات بديلات لإكمال مراحل النمو الباقية حتى الولادة، بحيث يكون كل جنين من الأجنة الأربعة مطابقا من الناحية الوراثية للجنين الأصلي، يعتبر الانشطار الجنيني نوعا من التوأمة، فهو عبارة عن توأمة صناعية تتم بواسطة التدخل البشري وعن طريق التقنيات، فهو لا يتم بصفة عادية كما يحدث في حالات التوأمة الطبيعية، كما يعتبرا شكلا من أشكال استنساخ الأجنة عندما يتم تقسيمها وزرعها من جديد في أرحام بديلة.

2.2/ تقنية النقل النووي للخلايا: وهي نفس التقنية التي استخدمها إيان ويلموت وفريقه البحثي في استنساخهم للنعجة دوللي، ومن ثمة: " تمّ استخدام تقنيّة نقل نواة الخليّة الجسديّة، وهي التّقنيّة الّتي تمّ من خلالها لأوّل مرّة منذ 40 عاما في البحث مع الضّفادع الصّغيرة، يتم إزالة نواة الخليّة الجسديّة البالغة (مثل خليّة الجلد) ونقلها إلى بويضة منزوعة النّواة، والّتي يتمّ تحفيزها بعد ذلك بالتّيار الكهربائيّ أو المواد الكيميائيّة لتنشيط الانقسام الخلويّ للشروع في الحمل والولادة، يتمّ نقل الكيسة الأريمية النّاتجة إلى رحم مضيفة، إذا تمّ الزّرع واستمر الحمل فسيحمل الفرد النّاتج نفس المادّة الوراثيّة النّوويّة

للمتبرع بالخليّة الجسديّة البالغة"(World Health organization, 2004, p 2) . تم تطبيق هذه التقنية في البداية على الحيوانات كالضفادع والأغنام والعجول وغيرها، قبل أن يتقرر تطبيقها على الأجنة البشرية، وتتطلب هذه التقنية توفر خلية جسدية منزوعة النواة، ومن ثم زرعها في بويضة غير مخصبة ومفرغة من محتواها الوراثي، بعد ذلك يتم تحفيز هذا المزيج بتيار كهرباثي أو بواسطة استعمال مواد كيميائية بغية تنشيط وتحفيز هذا المزيج على القيام بالانقسام الخلوي، وبعد حدوث الانقسام الخلوي وتكون الكيسة الأريمية يتم نقلها إلى رحم مستقبلة لكي تكمل هذه الكيسة الأريمية نموها وتصبح جنينا كامل النمو ويولد ولادة طبيعية، حيث يكون مطابقا وراثيا لصاحب الخلية الأصلي.

2. 3/ تقنية هونولولو: وهي تقنية من تقنيات استنساخ الأجنة البشرية تم اكتسافها سنة 1998، فـ: "بالنّسبة لهذه الطّريقة تكون خلايا المتبرّع المستخرجة من الشّخص المراد استنساخه من نوع خاص - تلك الّتي تبقى في مرحلة G0: تظلّ خلايا سيرتولي وخلايا الدّماغ في مرحلة G0 بشكل طبيعيّ، تكون خلايا الرّكام إمّا في طورG0 أو G1. تؤخذ نواة المتبرع من الخليّة المانحة مباشرة بعد استخراج الخليّة يتمّ تحضير بويضة غير مخصّبة لاستخدامها كمتلقي لنواة الخليّة"(Lim, 2006 ,p 194) . تعتمد هذه التقنية على نوع خاص من الخلايا وهي الخلايا المستقرة الخاملة، التي لا تنقسم إلا عند الضرورة ويرمز لها بالرمز G0، حيث يجب بقاء خلايا الخصية (سيرتولي) وخلايا الدماغ في مرحلة الخمول هذه، في حين تكون خلايا الركام إما في مرحلة الخمول أو في المرحلة الأولى من دورة حياة الخلية، وهي مرحلة تقوم فيها الخلية بصنع وتركيب الإنزيمات الخاصة بتضاعف DNA، بعد ذلك يتم أخذ نواة خلية المتبرع وزرعها في بويضة غير مخصبة، ويتم وضع المزيج في محلول كيميائي"ثم يتمّ إدخال نواة خليّة المانحة في خليّة البويضة المستأصلة. ثمّ توضع خليّة البويضة في مزرعة كيميائيّة لتحفيز نموّ الخليّة، تحتوي المزرعة على مادّة كيميائيّة السّيتوكالاسين B، على سبيل المثال، لمنع تكون الجسم القطبيّ، وهي خليّة ثانية تتشكّل عادة قبل الإخصاب، إذا تمّ تشكيل جسم قطبي، فستحتاج إلى نصف جينات الخليّة، وإعداد الخليّة الأخرى لتلقي الجينات من الحيوانات المنويّة، تماما كما هو الحال في الاخصاب الطّبيعيّ للبويضة بواسطة الحيوانات المنويّة"(Lim, 2006, p 194) . بعد زرع نواة خلية المتبرع في بويضة غير مخصبة يتم وضع المزيج في مزرعة كيميائية تعمل على تحفيز المزيج الخلوي على الانقسام والنمو، من بين

المحاليل الكيميائية المستخدمة محلول السّيتوكالاسين B، وهو عبارة عن سم فطري يعمل على تنشيط الحركة الخلوية دون أن يتسبب في تعطيل أو إيقاف الانقسام الخلوي، مما قد يتسبب في تكون خلية ثنائية النواة، وفي حالة تكون الجسم القطبي سنكون في حاجة إلى نصف جينات الخلية من أجل إعداد الخلايا الأخرى لتلقي الحيوانات المنوية، بغية التخلص من هذا الجسم كما يحدث في حالات التلقيح الطبيعي.

3/ المسائل الأخلاقية التي يثيرها استنساخ الأجنة البشرية:

3. 1/ مستقبل الطبيعة البشرية في ظل أبحاث استنساخ الأجنة البشرية:

من أهم المسائل التي تثيرها أبحاث استنساخ الأجنة البشرية مسألة الطبيعة البشرية ومصيرها في كنف هذه الأبحاث، فمن المتوقع أن تؤثر هذه على الطبيعة البشرية من خلال تغيير وتحوير الصفات الجينية للإنسان، يقول آلفين توفلر في هذا الصدد: " إنّ الإنسان سوف يصبح قادرا خلال فتره معقولة من الزّمن، لا على إعادة تصميم أجسام أفراد من البشر فحسب؛ بل الجنس البشريّ بأكمله ... إنّ مكتشفات هائلة في بيولوجيا الجزيئات على وشك أن تنفجر الآن مدوّية من معامل البحوث البيولوجيّة. إنّ معارف جديدة في علم الوراثة سوف تسمح لنا بأن نعبث بالوراثة البشريّة، وأن نعالج الجينات الموروثة لخلق نسخ جديدة معدّلة من الإنسان" (توفلر، 1990، ص 203، 204). يتوقع آلفن توفلر في كتابه "صدمة المستقبل" أن الثورة البيولوجية ستمكن الإنسان المعاصر من إعادة تصميم أجسام البشر عبر العديد من التقنيات والأبحاث، كزرع ونقل الأعضاء، والعلاج الجيني، وغيرهما، بل يمنكه أن يهندس الجنس البشري وإنتاج الأطفال والأجنة بواسطة تقنيات الاستنساخ وما توصلت إليه أبحاث الاستنساخ، وخاصة أبحاث استنساخ الأجنة البشرية التي ستمكن الإنسان في المستقبل من صنع نفسه، وهذا ما ينبأ بإنفجار بيولوجي على وشك الحدوث، فنحن أمام تقدم بيولوجي خاصة في علوم الوراثة سيفتح المجال أمامنا للعبث بالتركيبة الوراثية للإنسان، حيث سيصبح بإمكننا تغيير صفاته الجينية وصنع نسخ جديدة منه، وعلاج التشوهات والعيوب الوراثية وغيرها، مما يعني أن الطبيعة البشرية سيتم التلاعب والعبث بها، ويتم تحويل وتغيير تركيبتها باستمرار.

يؤكد الفيلسوف الأمريكي فرانسيس هذه التنبؤات حينما يعبر عن مخاوفه وقلقه من مفرزات وتأثيرات هذه الأبحاث على الطبيعة البشرية، حيث يقول: " إنّما هو خوف أن

تتسبب البيوتكنولوجيا، في نهاية المطاف، في أن تفقد بشكل ما إنسانيتنا: نعني سجايا معيّنة كانت دائما تشكّل جزءا من إحساسنا بماهيتنا وطريقنا بالرّغم كلّ ما حدث في ظروف الإنسان من تغيّرات جليّة عبر مسار التّاريخ. والأسوأ أنّنا قد نصنع هذا التّغيّر دون أن ندرك أنّنا فقدنا شيئا عظيم القيمة. ولقد نظهر على الجانب الآخر من خط عظيم يفصل ما بين تاريخ الإنسان وتاريخ ما بعد البشر، ثمّ لا ندري الحاجز الّذي انهار لأنا لا نعرف أيّ جوهر كان" (فوكوياما، 2002، ص 155). من المخاطر المتوقعة للبيوتكنولوجيا بصفة عامة، ولأبحاث استنساخ الأجنة البشرية بصفة خاصة، أن تتسبب هذه الأخيرة في تغيير صفاتنا الوراثية وتحور خصائصنا الجينية مما يستسبب في تغيير هويتنا البشرية الطبيعية، كما ستتسبب في فقداننا لإنسانيتا لأننا فقدنا ما يميزنا وهي صفاتنا وسجايانا الوراثية، التي تشكل جوهرنا الجيني والأخلاقي، الذي يعتبر جزءا لا يتجزأ من ماهيتنا وطبيعتنا، والأدهى والأمر في هذا الشأن أننا قد نقوم بهذه التحويرات والتغييرات دون أن نعي بها، ودون أن ندرك قيمة الخسائر التي حصلناها من هذه الممارسات، وعليه سنكون في حالة تشتت تام، لأننا حينها لا يمكننا تقدير قيمة ما فقدناه، ولا الحاجز الذي كسرناه والذي كان يحمي طبيعتنا وهويتنا من مثل هذه الممارسات والتجاوزات اللاأخلاقية في حق الجنس البشري، حينما سيعم القلق والخوف كل الجنس البشري.

أما الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس فيعتقد أن أبحاث استنساخ الأجنة البشرية تتلاعب بالطبيعة البشرية وبهويتنا الإنسانية المتفردة، حيث يقول: " إنّ التّلاعب الجينيّ يرتبط بمسائل هويّة النّوع، والّتي يشكل من خلالها الفهم الّذي يكوّنه الإنسان عن نفسه باعتباره كائن ذا ماهيّة جنسيّة، السّياق الّذي تنتظم فيه تمثلاتنا القانونيّة والأخلاقيّة... إنّ البحث (الاستهلاكيّ) في الأجنّة وتشخيص ما قبل الزّرع يثيران ردود فعل قويّة إذ يعتبران بمثابة تمثيل الخطر الماثل في النسالة اللّيبراليّة الّتي صارت على أبوابنا" (هابرماس، 2006، ص 32، 33). إن التلاعب الجيني والتحوير الوراثي للصفات التي تمارسه أبحاث استنساح الأجنة البشرية وغيرها من الأبحاث على الطبيعة البشرية، يمس بصفة كيان وجوهر الإنسان ويتلاعب بهويته، بل يتلاعب بهوية الجنس البشري برمته وهذه مناف لما هو معتاد وطبيعي، فلطالما اعتبر الإنسان كائنا مقدسا فوق كل تجريب وتحوير، ها هو اليوم يصبح فأر تجارب، ومجرد سلعة قابلة للتعديل والتحوير، مما يؤدي إلى انهيار أخلاقي لم يسبق له

مثيل في تاريخ البشرية، وعليه تثير هذه الأبحاث ردود أفعال قوية وتثير خوف وقلق الجميع، لأن الضرر كبير وقيمة الخسارة لا تقدر ثمن، إننا نخسر أنفسنا وهويتنا وطبيعتنا، وخاصة جوهرنا الإنساني والأخلاقي.

يواصل هابرماس تحليله لتأثرات ومفرزات هذه الأبحاث على الطبيعة البشرية، حيث يرى أن هذه الأبحاث ستؤثر على فهمنا لذواتنا، وستمزق جوهرنا الأخلاقي، حيث يقول: "تستدعي هذه الرّؤية مسألة معرفة ما إذا كانت تقننة الطّبيعة الإنسانيّة قد أدّت إلى فهم آخر لذاتنا بما يتأتّى عن سلوكيات النّوع، فبعد الآن لم يعد بالإمكان أن نفهم أنفسنا ككائنات حرّة سلوكيا ومتساوين أخلاقيا نتوجّه بواسطة المعايير والحجج" (هابرماس، 2006، 53). إن مساعي البيوتكنولوجيا وفي مقدمتها مساعي أبحاث استنساخ الأجنة البشرية بشأن تهذيب طبيعتنا البشرية سيؤثر سلبا على فهمنا لذواتنا ولهويتنا، لأننا سنخسر جزءا من طبيعتنا وصفاتنا، ونعيش مع وعي دايم بأن طبيعتنا تم التلاعب بها وتحويرها، وهذا سيؤثر على جوهرنا الأخلاقي، لأن كبرياءنا الأخلاقي سيجرح ويهان، وكذا سيؤثر على حريتنا واستقلاليتنا الذاتية، لأننا سنصبح خاضعين للتقنيات البيوتكنولوجيا وأبحاثها، وسنصبح حينها مجرد سلع قابلة للتفكيك والتحوير وفئران تجارب داخل أسوار مخابر البيولوجيا، وعليه يتحتم علينا إعادة النظر في مثل هذه البحث، والعمل على حفظ طبيعتنا وإرثنا الجيني من التلاعب والتحوير.

3. 2/ مصير الكرامة الإنسانية في ظل أبحاث استنساخ الأجنة البشرية:

لم يتوقف تخوف الإنسان من مفرزات ومخرجات أبحاث استنساخ الأجنة البشرية عند مسألة تغيير الطبيعة البشرية والعبث بها، حيث امتد قلقه وخوفه ليشمل هذه مسألة جوهرية لطالما تغنى بها الإنسان وهي الكرامة الإنسانية وقدسية الحياة البشرية، فهذه اللأبحاث انتهكت قدسية الحياة البشرية وأهانت كرامتة وخدشت كبرياءه، عندما أخضعته للتجريب ومارست عليه التعديل والتحوير، يقول الفرنسي إذغار موران في هذا الشأن: "وبدأت البحوث البيولوجيّة تفكّ رموز العوامل الوراثيّة (الجينوم)، واستكشاف الدّماغ، فأتاحت بذلك أولى المعالجات الجينيّة والمتّصلة بالخلايا، والأجنّة، والاستنساخ البشريّ والدّماغي. إنها بداية التّحكم في الحياة البشريّة من خلال الذّهن والمجتمع، ولكن أيضا من خلال الاقتصاد والرّبح" (موران، 2009، ص 294). إن مفرزات الثورة البيولوجية المتعددة

بتقنياتها والمتنوعة بأبحاثها، مكنت الإنسان من فك شفرة العوامل الجينية للإنسان، متيحة بذلك لظهور أنواع جديدة من التشخيص والعلاج، كالعلاج الجيني مثلا التي يتم فيه استخدام الخلايا، التي يعتبر استنساخ الأجنة البشرية من أهم مصادر اشتقاقها، هذا في ما يخص الايجابيات التي نتجت عن مخرجات الثورة البيولوجية، ولكن هذا لا يمنع من وجود جانب سلبي أسود في هذه الثورة ونتائجها، جانب خطير لا يمكن إغفاله ولا التغافل عنه، لأنه يتعلق بالجوهر الإنساني، إنه يتعلق بكرامة الإنسان وقدسية حياته واستقلاليته وحريته، فهذه الثورة هي بداية التحكم في الحياة البشرية، لأن الإنسان أصبح خاضعا للبيوتكنولوجيا بكل أبحاثها وتقنياتها، وسلبت منه كرامته وحريته واستقلاليته الذاتية.

يلح فوكوياما على ضرورة حماية كرامة الأجنة البشرية التي يتم استنساخها في المخابر، لأنه يتم العبث بخصائها، بل يتم تدميرها في الكثير من الأحيان، يقول في هذا الشأن: "قد يفتقر الجنين إلى بعض الخصائص البشريّة الأساسيّة الّتي يمتلكها الرّضيع، لكنّه ليس مجرد مجموعة من الخلايا أو الأنسجة لأنّ لديه القدرة الكامنة على أن يصبح بشرا كاملا. وفي هذا الخصوص يختلف عن الرّضيع -الذي يفتقر أيضا للكثير من أهمّ خصائص الإنسان البالغ- يختلف عنه فقط في درجة تحقّق هذه القدرة الطّبيعية الكامنة. معنى هذا أنّه بينما يمكن أن نضفي على الجنين منزلة ذهنيّة أدنى من الرّضيع فإن له منزلة أعلى من غيره من أنواع الخلايا أو الأنسجة الّتي يعمل عليها العلماء. من المعقول إذا -وعلى أسس غير دينية- أن نتشكّك فيما إذا كان الباحثون أحرارا في تخليق الأجنّة البشريّة واستنساخها وتدميرها كيف ما يحلو لهم" (ياما، 2002، ص 244). إن الجنين المستنسخ يبقى في نهاية المطاف إنسانا، حتى ولو افتقر إلى بعض الخصائص البشرية الأساسية التي يمتلكها الطفل الرضيع، هذا الأخير يفتقر بدوره للعديد من الخصائص البشرية التي يمتلكها الإنسان البالغ، من هذا المنطلق يجب المحافظة على كرامة الجنين لأنه إنسان، أو على الأقل هو مشروع إنسان إذا ما توفرت له شروط النمو، فنحن مطالبين بحماية كرامته من التلاعبات والتحويرات التي تطال تركيبته الجينية، وأن نحمي حياته من التدمير تحت أي ذريعة كانت، لأن الإنسان كائن مقدس وعلينا أن نحمي إرثنا المقدس من كل التجاوزات والتحويرات والتلاعبات التي تتم داخل أسوار المخابر البيولوجية الربحية والمؤدلجة.

ينتقد هابرماس التوجه النفعي للأبحاث البيوتكنولوجية على حساب الكرامة الإنسانية وقدسية الحياة والحرية الذاتية، حيث يقول: "إنّ القرف الّذي نحسّه اتّجاه فكرة أنّ البحث "الاستهلاكيّ "للأجنّة يجعل الحياة الإنسانيّة حياة آليّة بأمل الوصول إلى فوائد (أو مكاسب) تقدّم لا نستطيع تشخيصه بطريقة علميّة أكيدة، أنّ ذلك التّصرف يستحقّ شرحا أكثر تعقيدا. إنّ الموقف البارز هنا أنّ جنينا ما - حتّى ولو كان حبل به في مختبر- هو طفل المستقبل لأهل المستقبل، ولا شيء غير ذلك ولن يكون بالإمكان استخدامه لغايات أخرى... إنّ الشّعور الّذي يمنعنا من استخدام الجنين استخداما آليّا، كشيء لأيّ غاية أخرى يجد تعبيرا عنه في لزوم التّعامل باعتباره ما سيكونه، أيّ كشخصّ ثاني، الّذي إذا ما ولد فسيكون له موقفه الخاصّ تجاه هذا العلاج" (هابرماس، 2006، ص 86). يدافع هابرماس على الحياة البشرية، بصفة عامة، وعلى حياة الأجنة البشرية للأجنة البشرية المستنسخة، لأن أبحاث استنساخ الأجنة البشرية حولت الأجنة المسنتسخة إلى حياة آلية نفعية بغية تحقيق مكاسب مجهولة المعالم لا يمكن التحقق منها بطريقة علمية عملية، لذلك يؤكد هابرماس أن أي جنين مهما كانت مرحلة نموه، ومهما كانت طريقة حمله وولادته، نحن ملزمون بحماية كرامته من هذه الممارسات والتجاوزات التي حولت البيولوجيا إلى مجرد سوق للتجارة بالأعضاء البشرية وتوفير كتالوجات للصفات الوراثية والعلاج بالخلايا التي يكون مصدرها الأجنةالمستنسخة المدمرة، ومن هذا المنطلق نحن ملزمون بالحفاظ على حياة الأجنة البشرية، لأن جنين اليوم هو طفل المستقبل، كما أن هذا التلاعب والتدمير الممارس على الأجنة البشرية يتنافى مع طبيعتنا الإنسانية وجوهرنا الأخلاقي.

3.3/ مصير العلاقات الأسرية والاجتماعية في خضم أبحاث استنساخ الأجنة البشرية:

إن المخاوف التي أثارتها أبحاث استنساخ الأجنة البشرية لم تقتصر على الجانب الفردي فقط للإنسان، بل امتدت لتشمل شقه الاجتماعي، فإنتقلت إلى علاقاته الأسرية والاجتماعية، وعصفت بمؤسسة الأسرة والزواج والانجاب الطبيعي: "وعلى أي حال، فقبل أن يحدث أي شيء من ذلك القبيل بالنّسبة للفضاء الخارجي بزمن طويل، ستقرع تأثيرات تكنولوجيا النّسل الجديد وجه الأرض ممزّقة معتقداتنا التّقليدية عن الجنس، والأمومة، والحب، وتنشئة الأطفال، والتعليم. إنّ مناقشات حامية الوطيس تجرى الآن داخل المعامل بين سحرة البيولوجيا حول مستقبل الأسرة. إنّ الاختيارات المعنوية والعاطفية التي سيتعين

علينا أن نواجهها خلال العقود القادمة حرية بأن تذهل العقل وتربكه" (توفلر، 1990، ص207). من المخاوف التي أثارتها أبحاث استنساخ الأجنة البشرية تلك المتعلقة بتغيير معتقداتنا وأفكارنا عن الزواج والإنجاب والحياة الجنسية برمتها، لأننا في أبحاث الاستنساخ لا نحتاج للزواج، ولا إلى التواصل الجنسي بين الزوجين من أجل إنجاب طفل، كل ما نحتاجه خلية وبويضة، والأخطر من هذا كله هو الخوف من زوال شيء مقدس، ألا وهو الأمومة، فبظهور الأرحام الاصطناعية والأم البديلة ستندثر الأم الولودة وشعورها بالأمومة، وسيبقى شعور الأمومة البديلة، وبالتالي ستزول العواطف المتبادلة بين الأم والطفل، وسينمو هذا الطفل وهو يعاني جفافا عاطفيا ونقصا في الحب، بالإضافة إلى مشاكل في التربية والتنشئة الاجتماعية التي تزود الطفل بالقيم، وعليه إن مستقبل الأسرة والعلاقات الأسرية والاجتماعية، ومفاهيمنا التقليدية حول الأسرة والإنجاب تعاني خطر الزوال والاضمحلال، فنحن مقبلون على وسائل إنجاب جديدة وعلاقات جديدة ستربكنا وتذهل عقولنا.

بالإضافة إلى مخاوف زوال الأسرة والزواج والإنجاب الطبيعي، تضاف مشاكل أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، وهي مشاكل الهوية والنسب وعلاقات القرابة، حيث: "إنّ الرّغبة في تطبيقه على الإنسان، تعني بالتّالي التّعرض لإشكالية جديدة، وجميع تورّطاتها غير معروفة، ما هو ذلك الطّفل الّذي سيولد؟ ما هي الهويّة الّتي يكتسبها؟ وما هي الهويّة الّتي سيقرّ له بها الجميع؟ هل سيحمل اسم عائلة والاسم الشّخصيّ للفرد المستنسخ القبلي؟ أم أنّه سيكون طفلا جديدا يسجّل في نسب معقد؟ من سيكون والداه؟ أهما والدي المستنسخ القبليّ أم المطابق القبليّ أم الأمّ الحاضنة؟ أي مكان في النّسب سيمنح إلى واهبة البويضة الأنثويّة غير النّاضجة؟ إنّها شاركت بأكثر من صفة في تأجيج "شرارة الكائن الحي" للطّفل المستنسخ، إنّها حتّى ستورث هذا الطّفل القادم جزءا من إرثها الوراثيّ، تاركه له المجين المتقدري. وإنّ واهبة البويضة الأنثويّة يمكن أن تطالب "بحصتها من الوالدية" على الطفل المستنسخ" (تورنييه، 2009، ص 281، 282). إن أبحاث استنساخ الأجنة البشرية تثير مسائل عديدة وعميقة جدا، تهز كيان الإنسان والأسرة والمجتمع، وتغير مفاهيمنا وتقاليدنا وعلاقتنا، مثل مسألة الهوية، بمعنى أن هوية نمنحها لهذا الطفل المستنسخ، وأي نسب يكتسب، هل ينسب إلى صاحب الخلية أو إلى المربي؟ هل أمه صاحبة البويضة أو الأم البديلة أو الأم المربية؟ هل سيتقبله المجتمع ويتعامل معه بنفس الطريقة التي يتعامل بها مع أي طفل مولود بصفة

طبيعية؟ هل له الحق في الميراث؟ وغيرها من المسائل، إننا أمام مشاكل هوياتية، ومشاكل في النسب وعلاقات القرابة، ومشاكل في الحقوق والواجبات، مما سيؤدي إلى الفوضى والصراعات القانونية بين مختلف الأطراف.

من المخاوف التي تثيرها أبحاث استنساخ الأجنة البشرية، نجد تلك المخاوف المتعلقة بإمكانية تهديد استقرار المجتمع واضطرابه علاقاته وأنظمته، وهذا القلق هو وليد احتمالية خلق مجتمع من المستنسخين المتفوقين،وانطلاقا من هذا: "لقد تكهّن البعض بمجتمع أسطوري مبنى بأكمله على أشخاص مستنسخين، حيث يكون الذّكور فيه فائضين عن الحاجة، فعمليّة الولادة العذريّة، حيث تنتج الأنثى أطفالا من دون ذكر يمكن أن تصبح الطّريقة السّائدة للتّكاثر البشريّ،(من المحتمل أن يكون مثل هذا المجتمع غير مستقر، لأن أحد الأغراض التّطورية للجنس هو تأكيد التّنوع الجينيّ والضّروري للبقاء في بيئة تتغير بشكل مستمر)" (كاكو، 2001، ص 325). إن إباحة وانتشار تقنيات وعمليات استنساخ الأجنة البشرية من شأنها خلق مجتمع أسطوري، يتكون من أشخاص متفوقين من الناحية الوراثية فهم من يمتلكون أفضل الصفات كالذكاء والقوة وغيرها، وهذا راجع إلى الاختيار الدقيق الذي اختيرت به صفاتهم الوراثية من الكتالوجات التي وضعها لهذا الغرض، وعليه ستتسبب العمليات الاستنساخية بظهور مجتمع لا تكون فيه مكانة للذكور، لأن الأنثى تستطيع إنتاج أطفال من دون وجود ذكر، وسيصبح هذا الأخير زائدا وفائضا في الوجود لا فائدة منه، وبالتالي سيعاني هذا المجتمع المستنسخ من حالات عدم الاستقرار لأن جميع الأشخاص متماثلين من جميع الجوانب، لأنهم مجرد نسخ، وهذا ما يتنافى مع الأغراض التطورية للجنس التي تؤكد على التنوع والاختلاف الجيني، فأبحاث استنساخ الأجنة البشرية ستقضي على التنوع البيولوجي والاختلاف الجيني، وهذا ما سيؤدي إلى انهيار المجتمع، لأن أهم ركائزه قد سقطت وهي الاختلاف والتنوع، الذي يخلق التناسق والتكامل بين أفراد المجتمع، وسيصبح مجتمعا فوضويا في علاقاته وممارساته وقيمه، وستطغي عليه الممارسات العنصرية.

خاتمة:

من خلال تحليلنا للمخاوف والمسائل الأخلاقية التي تثيرها أبحاث استنساخ الأجنة البشرية، والوقوف على مخرجاتها وتأثيراتها على الفرد والمجتمع على حد سواء، نحن ملزمون

اليوم بتجديد الفكر الأخلاقي للحد من مثل هذه الممارسات وتقليل مفرزاتها، بحيث نصون كرامة الإنسان ونحفظ حقه في حياة طبيعية مستقلة بعيدة عن تدخلات البيوتكنولوجيا، ونضمن كذلك سلامته الجسدية وسلامة تركيبته الوراثية من التحوير والتلاعب، وعليه نحن مطالبون اليوم بتوحيد الجهود وتكثيفها للوقوف ضد هذه الممارسات، فالفكر البيواتيقي لم يكفي لوحده لردع هذه الممارسات، وعليه يجب تدعيمه من خلال الفكر السياسي والقانوني لأنهما لهما سلطة التطبيق، بالإضافة إلى ذلك امتلاكهما لوسائل الردع اللازمة، دون أن ننسى دور الإعلام حيث يجب تفعيل دوره في تنوير الرأي العام بخطورة هذه الأبحاث على صحة الفرد، وعلى قيمه وعلاقاته ومعتقداتها المقدسة، وعلى مؤسساته، وكذا على استقراره واستقرار مجتمعه، من خلال الحصص التوجيهية يتم فيها استضافة أهل الاختصاص، وكذا صنع أشرطة وثائقية تعريفية بخطورة هذه الممارسات، كما لا ننسى دور النخبة المثقفة التي يجب أن تقول كلمتها في مؤلفاتها وندواتها ومداخلاتها في المحافل الإقليمية والدولية، وكذا لا ننسى تفعيل التعاون الدولي لتجريم مثل هذه الممارسات، حفظا لكرامة الإنسان، وحماية للهوية الإنسانية والطبيعية البشرية وقدسية الحياة.

قائمة المراجع:

1. Alvin Toffler. (1990). *Future shock.* Translate by Mohamed Ali Nassif. The Egyptians Association of the Dissemination of knowledge and World Culture. Nahdet Misr Press.
2. Australian Capital Territory .(2019/11/14) .*Human cloning and embryo Research act 2004* .republication n05; authorised by act parliamentary counse.
3. Edgar Morin.(2009). *The approach is the humanity of minkind, the human identity*. Hana Subhi. Abu Dhabi, United arab Emirates. Abu Dhabi authority for cultur heritag cultiral complex (kalima).
4. Francis Fukuyama. (2002). *Our posthuman future consequences of biotechnology revolution.* Translate by Ahmed Mustajir. Sutur.
5. Habermas, Jürgen. (2006). *The future of human nature towards a liberal phylogeny*. Translated by George Kattora, Beirut: The Oriental Library.

6. Henry Atlan and others. (2016). *Human cloning.* Translate by Meha Qabil. Cairo. The National Centre for Translation.
7. Hwa .A. Lim .(2006) .*Multiplicity yours, cloning Stem Cell Research, And Regenerative Medicine* .London: Word Scientific.
8. Jean-Nicolas Tournier. (2009). *The living organism decoded.* Translate by Hala Salahuddin Lulu. Beirut, Lebanon. Arab Organization for Translation.
9. Michio Kaku.(2001). *Visions how science will revolutionize the 21 st century and beyond*. Kuwait .The national council for culture, arts and literature.
10. The President's Council on bioethics .(2002) .*Human cloning and human Dignity: An Ethical Inquiry* .Washington.
11. World Health organization .(2004) .*Reproductive cloning of human beings: status of the debate in the United Nations general assembly* .EB.115/INF.DOC./2.